المساهمات النظرية للمؤسسة في العلوم الاجتماعية :

لقد لعبت المؤسسة بمختلف أشكالها وصورها أدوارا هامة في تاريخ الإنسانية. سواء لضمان البقاء أو الضبط والنظام أو نقل الخبرات والقيم، فالحديث عن المؤسسات هو حديث عن تنظيم الحياة الاجتماعية، وفق قواعد واضحة ومبادئ مشتركة ومتفق عليها، هذا ما يقتضي الحديث عن بعض أهم الاسهامات السوسيولوجية التي حاولت التأسيس لتفسر علمي يخص الظاهرة المؤسساتية، وفي هذا الإطار نتناول من الإسهامات والاتجاهات النظرية ما يلي:

1. **اميل دوركايم: المؤسسة لها وجود مستقل وخاص بها**

يعتبر دوركايم المؤسسة من المواضيع الأساسية التي يجب أن تدرس لان هذا الكيان يمكن التعبير عنه بمستوى عالي من الموضوعية ولأنها لها قابلية كبيرة في أن تكون موضوعية ،إضافة إلى هذا فالمؤسسة تعكس أحادية البعد البشري، ووجود المؤسسة ككائن اجتماعي له الأولوية على الأفراد، وتكرس معظم المؤسسات الفرق الواضح بين المجتمعات البشرية والمجتمعات الحيوانية، هذا التصور للمؤسسة عند دوركايم يترجم الفكرة الأساسية عنده أن الإرادة الفردية لا تكفي لإظهار وتفسير ما هي القواعد والقوانين التي تحكم نظامية بعض الظواهر كالانتحار مثلا، كل هذه السلوكات الفردية تحكمها قوى غير ذاتية، يعني أن هذه القوى موجودة خارج الإرادة الفردية، ويمكن إرجاعها إلى تقاليد وتصورات جماعية، وهكذا يصبح الرأي العام مؤشرا له دلالة سوسيولوجية عالية وناجعة لقوة المؤسسات الاجتماعية لأنها تعكس التصورات الجماعية التي تعبر عن واقع المجتمع في وقت معين من تاريخه.

ويركز دوركايم على أن المؤسسة لها حياة مستقلة خارج ضمائر الأفراد الذين هم تحت تأثيرها واكراهها، هذا يعني أن الاشكال والتنظيمات الاجتماعية ومن بينها المؤسسة تسبق الأفراد الذين يسعون دائما إلى الامتثال لإكراهاتها وفي بعض الاحيان إلى مقاومتها. ويضيف "دوركايم" امتدادا إلى هذه الفكرة أن العضو مستقل عن الوظيفة لأن الأسباب التي وضعت هذا العضو تبقى مستقلة على الاستعمالات والوظائف الممكن تأديتها من طرف هذا العضو . فيستنتج "دوركايم" أن تحليل الظاهرة أو الفعل الاجتماعي يتطلب البحث فيه بطريقة مستقلة عن الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة أن الفعل الاجتماعي من جهة، والوظيفة التي تستجيب لها هذه الظاهرة أو الفعل الاجتماعي من جهة أخرى.

2. **ماكس فيبر : (نظامية العلاقات الاجتماعية)**

يختلف مؤسس علم الاجتماع الألماني(**ماكس فيبر**) مع المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع التي يقودها "دوركايم"، حيث تأثرت المدرسة الألمانية في علم الاجتماع كثيرا بأعمال "**فريديريك تايلور**" حول المنظمة أو التنظيم العلمي العقلاني للعمل. فالاعتراف الاجتماعي أن الأخلاقيات البروتستانتية للعمل تعبر على مسعى الحياة وهي التي تشجع على النجاح على صعيد الحياة المادية، هذا يدفع الأفراد إلى البحث وبطرق عقلانية على الوسائل التي تضمن لهم الغنى ،في عملية عقلنة الحياة في كل العالم في الإدارة العمومية كالمؤسسات الاقتصادية الخاصة وفي كل الميادين يجب أن يرجع إلى عقلنة السلطة.
فالمؤسسة عند "ماكس فيبر" أصبحت كالآلة الضابطة للعلاقات الاجتماعية وكأنها جمعية يشترك ويتحرك فيها أصحابها في إطار محدود وحسب قواعد محددة، هذا التصور يبعدنا عن تصور دوركايم الذي وضع المؤسسة على مستوى أعلى من الأفراد الذين هم في مستوى أسفل وتحت رحمة وسلطة اكراه المؤسسة، رغم التداخل بين المستويين عند "ماكس فيبر" هناك شيء من الحرية في التحرك بالنسبة للأفراد الذين يدخلون ويخرجون من المؤسسة بحرية كبيرة، بحكم أن هذا التجمع له طابع شبه تعاقدي ويظهر هنا تجربة "ماكس فيبر" في العلوم السياسية والقانونية عكس "دوركايم" الذي لم يكن يهتم من قبل بهذه النشاطات القريبة من السياسة .فالمؤسسة عند "ماكس فيبر" لا تشير إلى أولوية المستوى العلوي الضاغط

وخضوع الأفراد إلى هذا الكائن الاجتماعي الذم يحتكر ويمارس الإكراه على أتباعه، إضافة إلى أنه أكثر أدواتيه من المؤسسة التي هي قوة أولية واكراه عند "دوركايم".

3. بيير بورديو: (عملية خلق الموضوعية الاجتماعية)

دارسة للاطار التحليلي عند "بورديو" فيما يخص المؤسسة يقول **"فينسن ديبوا" Dubois Vincent**أن المؤسسة عند "بيير بورديو" ترجع إلى نوع معين أو عملية سوسيو- تاريخية طويلة المدى في خلق أو إنتاج الموضوعية الاجتماعية، هذه العملية الطويلة والمعقدة تفسر وكأنها تطبيع تدريجي لهذا المنتوج الاجتماعي يضيف "ديبوا" وعلى نفس الخط "لبورديو" أن المؤسسات موجودة لا لأن وظائفها حتمية أو ضرورية مبدئيا بل لأنها نتيجة التاريخ الجماعي الذي بطريقة تدريجية يمكّن هذه المؤسسات من الوجود وأصبحت استعمالاتها ضرورية .

الطابع المهيكل للمؤسسة يطبق ما يسميه بورديو" L'habitus الذي يمثل في علم الاجتماع "لبورديو" وجود فعال لتاريخ جماعي مدمج عند الأفراد وفي المؤسسة. تبدي المؤسسة عند "بورديو" استعدادا للفعل والتفكير الذي هو غير ممكن ظهوره بطريقة مستقلة عن ممارسات الفاعلين الاجتماعيين(الأفراد) الذين يعطوا للمؤسسة مواصفاتها وضروريتها في الديناميكية الجماعية وأن تكون مقبولة من طرف الجماعة.

المؤسسة حسب "بورديو" تؤدي إلى تفعيل L'habitus للأفراد والجماعات وتخبرنا أيضا عن المنطق الاجتماعي الذم يحكم كل السلوكات التمييزية التي يخضعون لها .

المواصفات الوظيفية للمؤسسة عند بورديو :

المؤسسة تسمح للفوارق الاجتماعية المعترف بها أن تبرز أو أن يستثمر فيها أصحابها بأنفسهم ومن طرف آخرين أيضا وهذا يكون من خلال ممارسات او طقوس رسمية كالتعيينات في مناصب إدارية، وغير رسمية من خلال السلوكات العفوية والتلقائية للأفراد في يومياتهم أين يعلنون على وجودهم في مجال اجتماعي مشترك. عملية التأسيس من هذا المنظور تصبح تنشئة اجتماعية أي أن كل فرد يتحرك في المجتمع حسب المكانة التي يشغلها والأدوار المنتظرة منه انطلاقا من هذه المكانة.

4. **جورج سيمل: العيش المشترك والمؤسسة كعضو اجتماعي مميز بمواصفاته الخاصة**

الفكرة الأساسية حول المؤسسات لدى **" سيمل"** في أنها عبارة عن أعضاء يكسبونها معناها ووظائفها انطلاقا من التعامل والتفاعل المتبادل بين الأفراد. وينظر **"سيمل"** إلى المؤسسة كعضو اجتماعي له خصوصياته، يتصور المجتمع على أنه" المكان الاجتماعي" الذي يوجد فيه تعامل وتفاعل متبادل بين أفراد كثيرين حسب الروابط الديناميكية بين الأفراد ويفرض عليهم هذا التبادل.

عند "سيمل " الفرد هو المكان أو المستوى الأول والملموس مباشرة للواقع التاريخي الاجتماعي، هذا التصور استلهمه من عالم الاجتماع **"ريمون بودون"** رغم أن "سيمل" عارض فكرة الفردانية النواتية المعمول بها عند "بودون" الذي يعبر عن عزلة الأفراد واستقلاليتيهم الكاملة .

يركز **"سيمل"** في تعريفه للمجتمع على العلاقات بين الأفراد ويقول إن المجتمع يتكون من تجمعات أو إجراءات جمعوية وتفاعلية والتي من خلالها تتكون اتجاهات نفسية أو معارضة وتتضمن علاقات تتجه تارة نحو النزاع وتارة نحو التجانس الاجتماعي والتوافق.

ولدراسة المؤسسات يقول **"سيمل"** يجب إبراز خصوصيتها والإطار الاجتماعي الذي جاءت فيه، ويقول "سيمل" في ظهور المؤسسات التي يحكمها بالطبع مبدأ الاختلاف " ينظر إلى المؤسسات على أنها "أعضاء اجتماعية" التي تكتسب دلالتها ووظائفها انطلاقا من التفاعلات المتبادلة بين الأفراد التي تعطى صيغة الخصوصية لهذه المؤسسات وهذا على المدى الطويل لتصبح المؤسسة مادة اجتماعية ذات استقلالية بعدما كانت جمعت وهضمت قدرا كافيا من الطاقات الاجتماعية فانتقلت من الذاتية المختلفة

ونالت مكانة الوضعية. أصبحت المؤسسة التي يسميها "سيمل " بالعضو المميز" موجودة بذاتها يعني أنها تناست بحكم المدى الزمني الطويل للعلاقات بين الأفراد، ويمكن القول أنها استقلت عن الظروف والفاعلين (الأفراد والجماعات) الذين أنتجوها وأسسوها.

5. ريمون بودون: المؤسسة نتيجة لتجمع وادماج النيات والأفعال الفردية.

"بودون" ك **"بورديو"** لم يعط اهتماما كبيرا للمؤسسة، حيث يركز أعماله السيكولوجية على فكرة أن الفرد هو الوحدة الأساسية غير القابلة للتقسيم في كل عملية تحليل للواقع الاجتماعي، لكن **"بودون"** يمشي أبعد من "بورديو" و"سيمل"، حيث يركز نظرته للواقع الاجتماعي على الفرد ويؤسس ما يسمى بالفردانية المنهجية، والتي تعتبر أن الوحدة الأساسية للديناميكية الاجتماعية تأتي من قدرة كل فرد على الاختيار في إطار اجتماعي منظم و الذي يحدد ويجسد الحدود للتعبير و التفكير والسلوكات والأفعال . انطلاقا مما سبق يعمم **"ريمون بودون"** هذه الفكرة على المؤسسة ويقول:" أن المؤسسة تلائم بشكل ممكن لعمل تركيبي ادماجي لكل الأفعال الفردية ،هذه البنية أو التركيبة ليست معرفة مسبقا ويصعب التنبؤ بها، ويضيف "بودون" قائلا: إن المؤسسة ليست بالضرورة نتيجة التلاقي و التكافؤ للإرادات المشتركة يمكن أن تظهر المؤسسة انطلاقا من ضرورة الخضوع إلى تركيبة أو بنية تضمن مصالح فردية أو جماعية متناقضة بحيث أنها لا تؤدي بها إلى ما لا يريدون الوصول إليه أو البقاء عليه . الاختلاف بين" بودون" و "بورديو" يكمن في أن المدرسة البورديوية تتصور المؤسسة على أساس أنها تملك قوة قاهرة تفرض على الأفراد كليا ، ولها أيضا القدرة على هيكلة حقل تدخل الأفراد في إطار الاكراهات التي تلجأ إليها وتستعملها تلقائيا. بينما عند "بودون" فالمؤسسة ليست بالهيكل المحتكر للإكراهات بل هي نتيجة أو تركيبة تشكل أو تنتج حقلا للتعامل لما هو محتمل أو ممكن لأن هذه البيئة تأخذ معناها ومدلولها إلا على ضوء الإرادات والنيات والأفعال الفردية، عند "بودون" المؤسسة لا تسبق الأفراد كما جاء بها "بورديو" والذي أكد في كل أعماله مبدأ أولوية المؤسسة على الأفراد وقدرتها في تصميم سلوكياتهم وأفعالهم وأفكارهم.

6. ماري دوغلاس: تركيبة نظرية هجينة من نظرية دوركايم ونظرية فلاك

إتباعا إلى ما جاء به عالم الأنثروبولوجيا **"إيفانس بريتشارد** Pritchard Evans وسّعت العالمة في الأنثروبولوجيا **"ماري دوغلاس"** تعريف المؤسسة الذي جاء به دوركايم وأضافت له البعد الرمزي للمؤسسة فعرفت المؤسسة على" أنها شكل تنظيمي ينسب إلى مجموعة اجتماعية لها مشروعية ويمكن التعرف عليها بسهولة، هذه المؤسسة تنظم الإمكانيات والاحتمالات للنشاطات الفردية والجماعية وتطبق سلطتها على الطرق والإجراءات المشتركة في تصنيف الأشياء ومعرفتها ،بهذا تقول ماري دوغلاس أكدت تعريف "دوركايم" للمؤسسة وأضافت له البعد الإجرائي والمقارن للثقافات، حيث تعتبر المؤسسة على أنها نمط اتصالي معقد المراد منه مراقبة مجال عدم التحكم الاجتماعي وهذا النموذج الاتصالي يأخذ شكل الحلقة الدائرية ويعبر عن التعامل المتبادل بين المؤسسة والأفراد. وبهذا أشارت **"ماري دوغلاس"** إلى النظرية في علم الاجتماع المنظمات والى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الجانب الاتصالي في دراسة المؤسسات.